

سياسة جَزء تَسُدُّ الأمريكية الإسرائيلية

د. محمد عبد العزيز ربيع

يواجه العرب اليوم حيوانا مُفترسا تقمصَ شخصية سايكس - بيكو، واستنسخَ عقليتها الاستعمارية، واستوحى روحها الشريرة. ويحمل هذا الوحش، إسوة بقيادة الإرهاب عبر التاريخ اسما حركيا يتكون من كلمتي " جَزء تَسُدُّ ". وككل حيوان مفترس، لا يمكن التفاهم مع هذا الوحش لأنه لا يفهم، وحين يكون جائعا لا يرحم، وحين يكون نائما لا يحلم سوى بضحية جديدة يحتال عليها ويغتالها دون أن تعلم. لقد بدأ هذا الوحش بالسطو على الوطن العربي حين اقتطع ثلاثة أرباع فلسطين وأقام عليها مستوطنة عنصرية صهيونية، ومن هناك أخذ يتسلل، تتبعه ذريته إلى منطقة الخليج العربي ومصر والسودان والمغرب العربي، والعمل على تحويل الدول العربية الواحدة تلو الأخرى إلى محميات تمهيدا لتجزئتها إلى دويلات أصغر والاستيلاء على مواردها والتحكم في مصائرها ووآد مستقبل أطفالها قبل أن تلدهم أمهاتهم وترى النورَ عيونهم.

إن أطماع هذا الوحش الذي لا يشبع لن تتوقف عند حدود، ولذا لن يرتاح قبل أن يُفتت كل دولة عربية ويُذل حكامها وينهب ثرواتها ويستعبد شعوبها. إن الغذاء الوحيد القادر على ضمان حياة هذا الوحش واستمراره، والفيتامين الذي يحتاجه لتقوية عضلاته هو موارد العرب الاستراتيجية من بترول وغاز وفوسفات. وهذا يعني أنه لا يمكن لنظام عربي أو شعب عربي أن ينجو من هذا الوحش إلا بتحطيم رأسه، وأن مصير من يتراجع أمامه سيكون كمصير كل من يواجه وحشا مفترسا بلا سلاح وبلا إرادة على الحياة.

في المقابل، يشكل البترول والغاز والفوسفات جل ما لدى العرب اليوم من مصادر اقتصادية يقتاتون عليها ولا يستطيعون العيش بدونها، وذلك بعد أن حول الحكام العرب ما لديهم من ثروات بشرية إلى كم مهمل أو أعباء ونفايات انتهت صلاحيتها. وحيث أنه ليس باستطاعة أي نظام أو حاكم أو شعب عربي مواجهة هذا الوحش بمفرده، فقد أصبح لزاما على العرب جميعا، حفاظا على وجودهم وحريرتهم، أن يواجهوه مُتحدين، وأن يقوموا بحشد كل ما لديهم من قوة وإرادة وعقول ومال وثروات، وذلك قبل أن يصبح مصير كل دولة عربية خليطا من مصائر العراق والسودان وباكستان وأفغانستان والصومال، وما يلوح في الأفق لكل من اليمن وليبيا وسورية إذا استمرت الأمور على حالها.

إن المعركة مع هذا الوحش المفترس تبدأ باتخاذ المواقف السليمة التي تؤكد مبادئ العدالة وتقدير المصير، وتُدار بالفكر والرأي الحر، وتستحوذ على عناصر القوة والمواجهة بتجميع القوى العربية وإقامة نظام دفاع عربي مشترك. وتُخاض بسلام على جبهات الإعلام العالمي مستعينة بالمنظمات الأهلية العربية والأوروبية والأمريكية وكافة اللجان التابعة لهيئة الأمم المتحدة. إن إدعاء البعض بأنه لا يجوز استخدام البترول كسلاح في المواجهة مع هذا الغول يعكس إما جهلا أو رغبة في استمرار التبعية انتظارا للتجزئة والاندثار. ليس هناك شعب أو نظام حكم في التاريخ تردد في استخدام سلاح لديه حين واجهه خيار الحياة أو الموت.

ويبدو أن المملكة العربية السعودية أدركت خطورة المرحلة قبل غيرها، واتخذت الخطوة الأولى في اتجاه خوض معركة المواجهة مع هذا الغول. إذ نشرت صحيفة الواشنطن بوست يوم الأحد الموافق 12 حزيران مقالا للأمير تركي الفيصل ينتقد فيه سياسة أمريكا بشكل صريح، ويدعم بقوة القرار العربي بالذهاب إلى هيئة الأمم مطالبين المجتمع الدولي بالاعتراف بحق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره وإقامة دولته على أرضه. ويختتم الأمير تركي رسالته لأمريكا مهددا بشكل واضح ودون اعتذار بأن أمريكا ستخسر السعودية في حالة استخدامها للفيتو في مجلس الأمن، وبأن نتائج مثل ذلك الموقف ستكون كارثية بالنسبة للعلاقة السعودية الأمريكية. إن المقال وما يعكسه من وعي وإرادة يشكل نقلة نوعية في العمل العربي وفي النظرة الاستراتيجية بعيدة المدى.. فالخطر جاثم على الأرض العربية، وأفعى "جزء" تسد بدأت تتلملم مع الدفء الذي أشاعه الربيع العربي استعدادا للسطو على الفريسة العربية والأجهزة عليها قبل أن تصحو من سباتها.

وفي ضوء هذه الحقائق والتطورات، أقترح قيام ملك السعودية، وبسرعة، بإعلان إلتزامه بالإصلاح أولا وتأييده لحركات الإصلاح السياسي والاقتصادي في الوطن العربي ثانيا، واتخاذ أربعة خطوات متزامنة تؤكد قيادة السعودية للعمل العربي، وبدء عملية الاعداد للمواجهة مع الصهيونية العالمية وأمريكا:

1. الدعوة لعقد اجتماع طارئ لمجلس الجامعة العربية بهدف سحب الشرعية من نظام على عبد الله صالح ونظام القذافي، والتزام الدول العربية بالدفاع عن وحدة الأراضي اليمنية والليبية والسودانية.

2. قيادة مجلس التعاون الخليجي لاتخاذ قرار بقبول الأردن عضوا كامل العضوية في المجلس، فهذا يعزز القوة العسكرية للمجلس ويمنحه عمقا استراتيجيا إضافيا، كما أنه يعزز موقف ملك الأردن

ويمنحه المزيد من الوقت لاستكمال الاصلاحات الدستورية والسياسة والاقتصادية. والقيام بتشكيل لجنة وساطة لتأمين نقل السلطة في اليمن بطريقة سلمية، مع الالتزام بعقد مؤتمر دولي لتمويل صندوق تنمية يماني برأسمال لا يقل عن عشرة بلايين دولار.

3. تشكيل لجنة وساطة عربية لتقريب وجهات النظر بين المعارضة والنظام في سورية بعضوية مصر وتونس والأردن ولبنان والسعودية، يساعدها مجموعة صغيرة من الحقوقيين والمثقفين العرب، تتحول بعد تهدئة الأوضاع إلى لجنة متابعة ووساطة دائمة حتى يتم تنفيذ كافة بنود الاتفاق.

4. الدعوة لعقد مؤتمر كبير نسبياً لمثقفين ومفكرين استراتيجيين عرب من داخل الوطن العربي وخارجه، يشمل سياسيين وعسكريين متقاعدين واقتصاديين ورجال إعلام، مهمته تحديد الأخطار الخارجية التي تحيق بالأمة العربية وبالوطن العربي ككل، وتقييم التحديات السياسية والاقتصادية الداخلية التي تواجه كل قطر عربي، وإعداد استراتيجية شاملة لمواجهة تلك الأخطار والتحديات. ومن أجل تحقيق هذا الهدف، يشكل المؤتمر لجان عمل متخصصة تقوم بالمهام التالية:

- حصر عناصر القوة العربية، السياسية والاقتصادية والعسكرية والبشرية، واقتراح خطة لحشدتها وتوظيفها في خدمة مصالح الأمة العربية على مختلف الأصعدة، ورسم خطة لإدارة العلاقات مع الغير من دول صديقة ومحيدة ومعادية، ومنظمات دولية.
- تحديد معالم خطة إصلاح سياسي واقتصادي واجتماعي لكل قطر عربي.
- وضع استراتيجية لتحقيق وحدة عربية تنطلق من قاعدة اقتصادية، وتأخذ بعين الاعتبار الحقائق السياسية على الأرض وخصوصية كل قطر عربي، وترمي لتحرير الوطن العربي من التبعية بكافة أشكالها الاقتصادية والعلمية والعسكرية والأمنية.
- رسم خطة لإقامة نظام دفاع عربي مشترك تكون مهمته حماية حدود الوطن العربي، والدفاع عن مصالح وسيادة كل دولة عربية، ومساعدتها على تحرير نفسها من الوصاية الأجنبية.
- رسم خطة عمل سلمية لإيقاف المد الصهيوني وتحرير فلسطين وإقامة دولة واحدة على أرضها، تشارك فيها قوى السلام والعدل العالمية، بما في القوى اليهودية المناوئة للصهيونية والعنصرية.

• رسم خطة إعلامية لمواجهة الصهيونية وأمريكا في كافة الساحات الرسمية والشعبية في العالم.

الوقع العربي يعيش حالة فراغ لم يسبق لها مثيل، مما يعطي السعودية أهم فرصة لها كي تقود. إن الأخطار التي تحيق بالعرب شعوبا وحكاما وأرضا كبيرة للغاية، وإن أمن كل نظام عربي مهدد من الداخل والخارج. من ناحية أخرى، لم يعد هناك أي احتمال لحل الصراع العربي الصهيوني من خلال مفاوضات مع إسرائيل وأمريكا، مما يستوجب وضع خطة تحرير بديلة. إن القول بأن المرحلة خطيرة يستصغر فداحة الخطر، كما وأن القول بأن علينا أن نسرع يقلل من أهمية السرعة، وإن من ينظر للأمور من زاوية مصلحة خاصة سوف يستيقظ بعد فوات الأوان ليجد نفسه وحيدا ذليلا، وقد فقد كل شيء وأصبح لا شيء.

د. محمد عبد العزيز ربيع www.yazour.com